ظاهرة البخل عند الجاحظ قراءة تأويلية

The Phenomenon of Stinginess for Al-Jahiz: An Interpretative Reading

طالبة دكتوراه . امباركة مصطفاوي

د. الطاهر حسيني

قسم اللغة والأدب العربي . جامعة الشهيد حمة لخضر. الوادي . الجزائر

مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقده . جامعة الوادي

mostefaoui20172018@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2020/04/25 تاريخ القبول: 2020/06/28

ملخص:

الجاحظ شخصية موسوعية عالج بنظرة المتأمل الفاحص، و الناقد الفطن، العديد من القضايا الأدبية واللغوية النقدية الدينية والفلسفية والاجتماعية،و من الظواهر الاجتماعية التي تناولها الجاحظ: ظاهرة البخل التي جمع لها قصصا، و أبدى في حقيقتها رأيا في كتابه "البخلاء"، الذي شغل الدارسين و النقاد قديما و حديثا. فكيف عالج الجاحظ هذه الظاهرة؟، وكيف يجب علينا أن نقرأها قراءة عصرية نتجاوز فيها قراءة الشرح إلى قراءة التأويل التي تكشف لنا ما وراء الألفاظ و العبارات و الأسلوب و طريقة السرد ؟

الكلمات المفتاحية: البخل- البخلاء- العصر العباسي- قراءة- تأويل- تلقي.

***Abstract*:**

Al-Jahizis an encyclopedic figure who treated, with his contemplative examination and discerning critic, many literary, linguistic, critical, religious, philosophical, and socialissues.Among the social phenomena that Al-Jahiz dealt with: the phenomenon of stinginess about which he collected stories, and he expressed an opinion about its truth in his book “Al-Boukhala”, which occupied the minds of scholars and critics in the past and the present. How did Al-Jahiz handle this phenomenon? How should we read it modernly, in which we go beyond reading the explanation to reading the interpretation that reveals to us what is behind the words, phrases, style and narration method؟

Key words: stinginess, the stingy, Abbasid era, reading, interpretation, receive.

تقديم:

البخل ظاهرة إنسانية لم يخل منها مجتمع في القديم ولا في الحديث ، ولا نزعم أن الجاحظ أول من كتب فيها ؛ فالواقع يشهد أن اليونانيين قديما تناولوا الظاهرة من خلال مسرحيات بلوتس في القرن الثاني قبل الميلاد، كما تناولها موليير حديثا من خلال مسرحيته " البخيل "سنة 1688.[1]

والحديث عن موضوع البخل في تراثنا العربي لا يرتبط بالعصر العباسي الموجودة في مؤلفات متناثرة أو في مؤلف خالص متعلق بها؛ بل كان امتدادا لما هو موجود منذ القدم، باعتباره سلوكا إنسانيا طبعت عليه النفس البشرية؛ فالعصر الجاهلي مثلا لم يخلو من نصوص تذم البخل وتمجد الكرم سواء شعرا أم نثرا، ويتجسد ذم البخل في شعر الهجاء؛ إذ يتم ذم البخيل واتصافه بالبخل في مقابل تمجيدهم للكرم والكرماء في شعر المدح.[2]

وبما أن البخل ظاهرة إنسانية، فقد تعددت التعريفات المتعلقة به (بمادة بخل) في المعاجم اللغوية العربية منها والغربية والتي تحيل في مجملها على سلوك سلبي صادر عن الإنسان لحبه للمال وجمعه وتكديسه[3].

وسنحاول في هذا المقال تسليط الضوء على هذه الظاهرة في نص نثري عباسي، لقي رواجا وشهرة على مر العصور: كتاب البخلاء للجاحظ. فكيف نظر الجاحظ لهذه الظاهرة؟ وبأي طريقة عالجها وقدمها لمتلقيه؟.

1- رؤية الجاحظ لظاهرة البخل:

قبل الخوض في تحليل رؤية الجاحظ لظاهرة البخل وجب الإشارة أولا إلى أن الجاحظ قد عكس صورة مجتمعه العباسي بكل أبعاده ثقافية واجتماعية وسياسية وغيرها في قصصه المختلفة بأسلوب هزلي جامع بين الجد والهزل، وقد أشار إلى ذلك في مقدمة كتابه قائلا:« ولك في هذا الكتاب ثلاثة أشياء: تبيُّن حجة طريفة، أو تعرف حيلة لطيفة، أو استفادة نادرة عجيبة، وأنت في ضحك منه إذا شئت وفي لهو إذا مللت الجد»[4]، وحديثه هذا لا يحيل على الجمع بين الجد والهزل فقط؛ بل يحاول فيه أيضا إبراز الأشكال أو الأنواع السردية التي سينضوي عليها كتابه وهي ثلاثة:

- الرسائل: وهذا النوع قائم على تبين الحجج الطريفة لكلى الطرفين الذام للبخل والمدافع عنه وتتميز بالطول كرسالة سهل بن هارون.
- الطرفة: وتقوم على إدراج حيل طريفة يعتمدها البخيل كأسلوب لبلوغ هدفه وتمتاز بصغر حجمها كطرف أهل خرسان.
- النادرة: وهي شكل يبرز فيه صفات عجيبة للبخلاء وسلوكياتهم وتكون صغيرة الحجم أيضا ومنها نذكر قصة أهل البصرة من المسجديين .

وما انتهاج الجاحظ أسلوب الجمع بين الجد والهزل إلا مراعاة للمتلقين ونفسياتهم، كي لا يصيبهم الملل والضجر حين تلقي كتابه، مؤكدا على ذلك في مقدمته مدافعا على الضحك مقابلا إياه بالبكاء بحجج وأدلة مختلفة:« كيف لا يكون موقعه من سرور النفس عظيما، ومن مصلحة الطباع كبيرا، وهو شيء في أصل الطباع وفي أساس التركيب؛ لأنّ الضحك أول خير يظهر من الصبي وبه تطيب نفسه وعليه ينبت شحمه، ويكثر دمه الذي هو علة سروره ومادة قوّته»[5]، وبعد أن عدد الجاحظ خصال الضحك وفوائده باعتباره طبعا متجذرا في النفس البشرية في مقابل البكاء، ذهب إلى إبراز أهمية وفوائد توظيف الضحك الهادف في قصصه والاعتدال في ذلك لبلوغ الفائدة، وهذا ما دعاه للمزج بين الجد والهزل في قصصه ونوادره ، موضحا ذلك في قوله:«وللضحك موضع وله مقدار ، وللمزح موضع وله مقدار، متى جازهما أحد وقصر عنهما أحد صار الفاضل خَطَلاً ، والتقصير نقصا، فالناس لم يعيبوا الضحك إلاّ بقدر ولم يعيبوا المزح إلاّ بقدر، ومتى أريد بالمزح النفع، وبالضحك الشيء الذي له جعل الضحك، صار المزح جدّا والضحك وقارا»[6]

كما أكد الجاحظ في ثنايا كتابه على أنّ شخصيات قصصه متنوعة تشمل كل طبقات المجتمع العباسي مركزا على الفئة الميسورة منه والتي يفترض بها ألا تتصف بهذا السلوك بقوله:«وإنّما نحكي عن البخلاء الذين جمعوا بين البخل واليسر، وبين خصب البلاد وعيش أهل الجدب»[7]، مراعيا مقام شخصيات بخلائه ومحيطهم الاجتماعي؛ بحيث تتناسب صورة البخيل المتكلم مع ذهن السامع وذاكرته، ويتجلى ذلك في استعماله معجما حسيا ذوقيا تصف شخصياته وفقا لمقامها الاجتماعي ومستواها الثقافي، ما يسمح بتقبلها لدى متلقيها وفي ذلك يقول:«ولو أنّ رجلا ألزق نادرة بأبي الحارث جمّين والهيثم بن مظهر، وبمزبّد وابن أحمر ثمّ كانت باردة لجرت على أحسن ما يكون، ولو ولّد نادرة حارة في نفسها مليحة في معناها ثم أضاف إلى صالح بن حنين وإلى ابن النواء،وإلى بعض البغضاء لعادت باردة ولصارت فاترة، فإنّ الفاتر شر من البارد».[8]

فالجاحظ في البخلاء يعالج البخل من منظور إنساني معتبرا إياه طبعا وغريزة متجذرة في النفس البشرية، مما دفعها للدفاع عنه وعدّه ضربا من الاقتصاد وحسن التدبير، وعلى هذا

النوع من البخلاء ركز الجاحظ في قصصه ونوادره، مشيرا إليهم في مقدمته قائلا:« ليس عجبي ممن خلع عذاره في البخل، وأبدى صفحته للذم ...كعجبي ممن فطن لبخله وعرف شحه، وهو في ذلك يجاهد نفسه ويغالب طبعه»[9]؛ فالبخلاء عنده نوعان: نوع متصف بالبخل متبني له دون أي يدرك ذلك، وآخر عالم باتصافه بالبخل مدافع عنه معتبرا إياه مذهبا في الاقتصاد وحسن التدبير.

والناظر في قصص البخل في كتاب الجاحظ يجده قد انطلق من نفسيات البخلاء وعواطفهم ، وصفا وتصويرا، معيدا هذا السلوك إلى التوتر النفسي الذي يصيب الشخص البخيل والذي لا يخرج عن ثلاث أشكال:

- أدنى درجات التوتر وتجسد حالة البخيل الجامع الذي يعتبر البخل نوعا من الاقتصاد وحسن التدبير.
- أقصى درجات التوتر وتجسد حالة البخيل المانع الذي يمتاز بشحه واحتكاره لما يملك ، وهو صفة ذميمة لا محالة.
- انفلات إلى درجة غير محددة من التوتر وتجسدها حالة البخيل الطامع الشره الذي يحاول السطو على ممتلكات غيره بكل الحيل والمكائد الممكنة.

أشكال متنوعة موجودة في كتاب البخلاء موزعة على مختلف القصص الواردة فيه ولفهمها لا بدّ من محاولة تحليل وقراءة نماذج تعكسها جميعها لمعرفة الأسلوب الذي انتهجه الجاحظ في دراسة الظاهرة.

2- تحليل نماذج من كتاب البخلاء للجاحظ:

لفهم هذه الأشكال المبثوثة في كتاب البخلاء لا بدّ من محاولة قراءة وتحليل بعض القصص التي تجسد الأنواع الثلاث سابقة الذكر والتي تكون متداخلة فيمكن أن يتجسد شكلين في قصة واحدة، ووقع الاختيار على النماذج الآتية: قصة معاذة العنبرية وقصة جبل وأبو مازن، وقصة السدري والسمكة.

أ- التأويل الدلالي السيميوزي(قراءة دلالية):

سنحاول في هذا المقام تحليل البنى السطحية الواردة في النماذج القصصية المختارة، محاولين ربطها بالأبعاد الثقافية والاجتماعية، والدينية، والسياسية التي عاصرها الجاحظ وحاول الإشارة إليها في قصصه انطلاقا من قسمين اثنين هما:

أ.1- التمظهرات المعجمية وأحوال التلفظ: تحوي قصص البخلاء في طياتها مجموعة من اللكسيمات الحاملة لمفاهيم وتصورات توحي بدلالات غير مفتوحة تختلف وتتعدد باختلاف

القراء، ويمكن تصنيفها ضمن ثلاث مجموعات رئيسية هي: الشخصيات والأمكنة، والتصورات أو المفاهيم.

- **الشخصيات**: الشخصية عنصر هام من عناصر البناء السردي التي لاقت اهتماما في الدراسات الحديثة، واختلافا في دراستها فمنهم من نظر إليها من جانب اجتماعي وآخرون منحوها بعدا سيكولوجيا، واعتبرها البنيويون علامة، فيما نظر إليها كل من بروب وغريماس باعتبارها عوامل[10]، وفيما يلي سنحاول دراسة الشخصيات في القصص المختارة:

- **قصة معاذة العنبرية**: تحوي هذه القصة ثلاث شخصيات لكل منها دور منوط به، وتنقسم إلى شخصية رئيسية محورية سردية تمثلها معاذة العنبرية التي تدور حولها أحداث القصة، أرملة تعكس نموذج المرأة البسيطة، الذكية، المقتصدة، المتمكنة من تدبير شؤون بيتها، لدرجة تمسكها وسعيها لاستثمار كل كبيرة أو صغيرة، إلا أنّها تقع في مشكلة تعرقل مسعاها، فتسعى وتجتهد لحلها،حتى صارت مثالا يُقتدى به في حسن التدبير والاقتصاد، محاولة الحفاظ على نهج زوجها في ذلك بعد وفاته، ولاسمها بعد دلالي يحيل على ذلك؛ إذ يتركب من شقين: أول: معاذة ومعناه التعويذة أو االعوذ، وهي الرقية التي يتحصن بها الإنسان[11]، أما العنبرية فهو مشتق من العنبر بمعنى الطيب.أما النوع الثاني فهي شخصيات ثانوية تتمثل في شخصية الشيخ المشارك في الحوار وشخصية(ابن العم) التي لم يكن لها أي دور في سير أحداث القصة وتطوراتها.

- **قصة جبل وأبو مازن**: تحوي هذه القصة شخصيتين محورتين فقط تدور حولهما كل الأحداث هما: شخصية "جبل العمي" التي تمثل شخصية سردية أساسية توصف بأنها شخصية ثقيلة ملقبة بالجبل، طفيلي جبان يظهر في الليل عند بيت أبي مازن معتديا عليه، يبقى حاضرا إلى نهاية القصة، يؤدي دور المسافر الذي يخشى الليل فيطلب الاستضافة متعللا بأنه لن يكلف مضيفه أدنى مؤونة، ودلالة اسم هذه الشخصية مخافة تماما لموقفه؛ فكلمة جبل تدل على الرجل الشجاع القوي لكنه في القصة بخلاف ذلك يخاف الليل وسُرّاقه. أما الشخصية الثانية فهي ل"أبي مازن" الذي يمثل شخصية سردية أساسية، يلعب دور الضحية (المعتدى عليه)، يعكس أنموذج البخيل المانع الذي يمنع جبل من المبيت عنده، مخادع محتال بخيل، يظهر في منزله ليلا مانعا الضيف من المبيت عنده، بقي حاضرا إلى نهاية القصة.

- **قصة السدري والسمكة**: تحوي هذه القصة ثلاث شخصيات : أولى ثانوية تمثل شخصية الجاحظ الذي يروي أحداث القصة، وشخصيتين رئيسيتين تدور حولهما كل الأحداث هما شخصيتي: السدري شخصية سردية رئيسية لها وجود حقيقي فهو«محمد بن هشام بن أبي خميمة، شاعر قليل الشهرة، لم يرو له الكثير من الشهر مولى من موالى لبني عوال، اشترى

المتوكل ولاءه بثلاثين ألف درهم، وكان يصاحب الجمّاز والجاحظ، وأدباء البصرة»[12]، يمثل أنموذج البخيل الطفيلي المعتدي على مائدة أبي المؤمل، يمتاز بالنهم وحب الطعام بشدة، يأكل بسرعة، يظهر في منزل الضحية ببغداد وقت الغذاء، ويبقى حاضرا إلى نهاية القصة(المائدة)،يؤدي دور من يجد سمكة على المائدة فيأكلها بسرعة ونهم، ولا يبقى شيئا لصاحبها، يمكن أن يكون مثالا للرجل النهم المستغل الذي يأكل الأخضر واليابس. ومحمد بن أبي المؤمل: شخصية أساسية سردية حقيقية، تجسد نموذج البخيل الضحية (المعتدى عليه) المدافع والمحاجج عن البخل والبخلاء، فهو بخيل بليغ وفصيح اللسان، يحب أن يتشدق ويغلظ صوته، ويجاهر بحب شرب الخمر على الريق، محب للسمك، داع للناس على الخوان فيأتونه خوفا من لومه، رغم وضعه لطعام لا يشبعهم، يخاف سوء ظن الناس به،يدعي الكرم والجود والدعوة لعدم الإسراف والتبذير[13]، يؤدي دور الضحية البخيل الخجول الذي يخاف ملامة الناس فيقع فيها، إضافة إلى الشبوطة ذلك النوع من السمك الذي يمثل موضوع القيمة في القصة والذي يسطو عليه السدري ويأخذه من أبي المؤمل.

- **الأمكنة**: اهتمت الدراسات السردية الحديثة بالمكان، معتبرة إياه ركيزة في تحليل النصوص ودراستها؛ إذ يرتبط بشكل مباشر بالأحداث التي تقوم بها الشخصيات في القصص، معرفينه بقولهم:« الخلفية التي تقع فيها أحداث الرواية»[14]، وقد تعددت الأمكنة الواردة في قصص البخلاء ومنها نذكر :

- **البيت**: ورد ذكر البيت في كثير من القصص في كتاب البخلاء، إلا أنّه كان مجرد إشارات لا غير كما هو الحال في قصة جبل العمي وأبو مازن حيث درات أحداث القصة أما بابه، ولم يتم ربط الأحداث بأجزائه، والأمر نفسه في قصة السدري والسمكة؛ إذ كان التركيز على مائدة أبي المؤمل لا بيته، بخلاف قصة معاذة العنبرية التي قام فيها بوصف تفصيلي لكل جزء فيه، رابطا حالتها النفسية وأحداث القصة به، والتي تتجلّى في حركة معاذة والتحامها بكل جزء منه، وبشكل أكبر بعد الحيرة التي وقعت فيها بكيفية استغلال الأضحية كاملة فلجأت للبيت بكل تفاصيله لمساعدتها«أما القرن فالوجه فيه معروف، وهو أن يجعل منه كالخطاف، ويسمر في جذع من أجذاع السقف،...والحيات وغير ذلك»[15]، ولم يقتصر هذا المقطع على ذكر أجزاء البيت والتفصيل فيها؛ بل يوحي أيضا لتواضع المكان، وحالة الضعف والفقر التي تعيشها، وهذا انعكاس للوجه الاجتماعي للشخصية الرئيسية، كما أنه وصف حالة السقف المهترئة؛ حيث يثبت قرن الأضحية عليه بهدف تعليق مستلزمات البيت عليه،وما لذلك من أبعاد دلالية متعددة، ويتلخص دور البيت في قصة معاذة في كونه الملاذ الذي لجأت إليه لحل مشكلتها والمساعد الذي أخرجها من حالة القلق والحزن التي مرت بها.

- **المسجد:** مثل المسجد المكان الذي روية فيه قصة معاذة ومجموعة من القصص الأخرى ، مكان لم يكن مخصصا للتعبد والصلاة فقط؛ بل كان مكانا لتلاقي العلوم والمعارف، كما كان مكانا لتجمع مجموعة من الناس متخذين إياه فضاء للتعبير عن خصالهم ومذهبهم في الحياة، القائم على الاقتصاد في النفقة، والجمع والمنع، سماهم الجاحظ بالمسجديين«قال أصحابنا من المسجديين: اجتمع ناس في المسجد، ممن ينتحل الاقتصاد في النفقة والتثمير في للمال، من أصحاب الجمع والمنع، وقد كان هذا المذهب عندهم كالنسب الذي يجمع على التحاب، وكالحلف الذي يجمع على التناصر، وكانوا إذا التقوا في حلقهم تذاكروا هذا الباب وتطارحوه وتدارسوه، التماسا للفائدة، واستمتاعا بذكره»[16]، ولم اختيار المسجد مكان لسرد قصصهم عبثا؛ بل كان لذلك دلالات خفية لما للمكان من قدسية دينية تحيل على صدق مذهبهم لنبذ الدين لأشكال التبذير والإسراف، ودعوته لحسن التصرف والتدبير.

- **المائدة:** كان لمائدة الطعام دور هام في قصة السدري والسمكة؛ إذ دارة كل أحداث القصة في مجلس الطعام، فكانت المائدة وما تحويه الركيزة الأساسية في وصف شراهة ونهم السدري، وغيظ أبو المؤمل.

هذا ولم تخلو من أماكن أخرى تم الإشارة إليها كالشارع في قصة جبل العمي وأبو مازن،والسوق في قصة السدري دون أن يرتبط بأحداث القصة، ويمكن تلخيص الأماكن الوارد في النماذج في نوعين: أماكن مغلقة كالبيت والمسجد، وأماكن مفتوحة كالشارع والسوق.

- **التصورات والمفاهيم:** تحمل النماذج الثلاث المختارة مجموعة من المفاهيم والتصورات المتداخلة ،و المتباينة أحيانا أخرى منها نذكر:

- **التصدق:** يتجسد هذا الفعل الخيري في قصة معاذة؛ حيث قام ابن عم لها بإهدائها أضحية العيد كونها أرملة«أهدى إليها العام ابن عم لها أضحية...قالت: أنا امرأة أرملة، وليس لي قيم»[17]، ويحيلنا هذا على قيمة دينية متجذرة في المجتمع العربي والإسلامي وهي الكرم اتجاه أبناء العمومة، والحث على التصدق ومساعدة اليتامى والفقراء.

- **الحزن والاكتئاب:** تتعرض الشخصيات البخيلة في قصص البخلاء إلى الحزن إذا لم تتمكن من بلوغ هدفها أو موضوع قيمتها، ومن ذلك ما نجده في قصة معاذة العنبرية التي ظهر عليها هذا السلوك عندما أحست بعجزها وعدم مقدرتها على استغلال كل أجزاء الشاة، لعدم علمها بكيفية تدبرها كون زوجها من كان المسؤول عن ذلك، وهنا يكون الحزن نابعا من خوفها من تضييع أي جزء منها«فرأيتها كئيبة حزينة مفكرة مطرقة فقلت لها: مالك يا معاذة؟ قالت: أنا امرأة أرملة ...وقد خفت أن يضيع بعض هذه الشاة، ولست اعرف وضع جميع أجزائها في مكانها»[18]، ويحيلنا هذا على حالة الفقر والحرمان التي كانت تعيشها، والتي ولدت عندها شعور

الخوف من فقد الشيء الذي حصلت عليه، ولعل هذا مبرر لحالة الشح البغيضة التي كانت مطبوعة عليها.

- **الطمع**: ظهر سلوك الطمع في نموذجين من القصص المختارة، فنجده عند جبل الذي طمع بالمبيت عند أبي المؤمل نتيجة خوفه من البقاء خارجا في الليل، وطمع أبي المؤمل ذاته بهدية تصاحب الطرق المتواصل للباب، ولعل الطمع يظهر بشكل أكبر في شخصية السدري الذي تجاوز طمعه كل الحدود حتى أنّه قام بالسطو على سمكة أبي المؤمل والتهمها كلها.
- **التحايل والخداع**: سلوك برز في شخصيتي جبل وأبو مازن، ناتج عن حالة خوف أصابتهما؛ إذ خاف جبل من سراق الليل وقطاع الطرق ما دفعه للتحايل على أبي مازن للمبيت عنده متحججا بأنه قد شرب وأكل ولن يأخذ منه شيئا، في مقابل ذلك نجد تحايل أبو مازن بادعائه السكر وعدم فهم جبل للتخلص منه خوفا من استضافته وما يتبعه من انفاق.
- **الغضب**: يظهر الغضب في شخصية أبي مازن الذي فرح بالدق المتواصل للباب حتى ظن أنه ضيف حامل لهدية، لكن بعد فتحه للباب اصطدم بطلب جبل المبيت عنده، ما خلق حالة من الغضب لخيبة أمله في الحصول على هدية«فلما فتح الباب وبصر بجبل، بصر ملك الموت»[19]، وهذا وصف بليغ لحالة الغضب التي أصابته. وهذه العاطفة برزت بشكل اكبر في شخصية أبي المؤمل الذي بدا بالانزعاج عند قدوم السدري خوفا على سمكته، وتأججت عنده عاطفة الغضب لتبلغ أشدّها بتوالي أحداث القصة وأكل السدري لكل السمكة الخاصة به حتى صار محموما مريضا من ذلك معاهدا على عدم مشاركة الطعام مع أي كان وعدم أكل السمك حتى وإن وجده في الطريق أو اهدي له.
- **الفرح**: ظهرت عاطفة الفرح لدى شخصية السدري، الذي سطا على السمكة واكلها كلها، شخصية جسدت البخيل الطامع الشره للأكل، غير الملتزم بآداب الأكل المتعارف عنها، كما تجسدت الفرحة عند معاذة العبرية في نهاية القصة عندما وجدت حلا ودبرت كل أجزاء الأضحية، والأمر نفسه عند أبي مازن الذي تخلص من حبل.

أ.2- التمظهرات السنيية: في هذه الجزئية سنقوم بالتركيز عن الأساليب البلاغية والأسلوبية، والأطر التناصية، وكذا دراسة وضعيات السارد أو الرؤى السردية للنماذج القصصية المختارة.

- **الرؤية السردية**: هي الطريقة التي يتم بها إدراك القصة من طرف السارد أو الراوي، انطلاقا من الوسائل التي يختارها لتقديم القصة للمروي لهم، أو المتلقين عموما[20]، وتختلف الرؤى باختلاف قصص البخلاء ومن ذلك نذكر:

- **رؤية مع** : أو السرد الذاتي حسب تصنيف الشكلانيين، رؤية تجسدت في قصتين من النماذج المختارة هما:"قصة معاذة"؛ حيث تكلم الراوي بضمير الغائب في القصة الإطار(أهل البصرة من المسجديين) التي تنتمي إليها قصة معاذة، مفتتحا قصصه بقوله: «قال أصحابنا من المسجديين اجتمع ناس في المسجد..واستمتاعا بذكره»[21] فالراوي هنا غير مشارك في القصة على الرغم من معرفته بشخصياتها وأحداثها ثم يفسح المجال لشخصيات القصة لسرد أحداثها وروايتها بأنفسهم، ما يخلق تعدّد في الرؤى منها ما هو داخلي أو خارجي، ففي قصة معاذة يظهر الراوي كشخصية مشاركة في القصة، يروي أحداثها من الداخل، ناقلا لما رآه وعايشه من وقائع ، فالراوي الداخلي يظهر من بداية القصة بالقول:«ثم اندفع شيخ منهم فقال: لم أر في وضع الأمور مواضعها وفي توفيتها غاية حقها، كمعاذة العبرية»[22]، فهذا الاستهلال السردي يبيّن أنّ الراوي يقدم تجربته الشخصية التي مر بها وعايشها كما وظفت جملة الاستهلال بهدف إثارة السامعين، والدليل على ذلك السؤال الذي وجهه الحضور حول المرأة بقولهم:«وما شأن معاذة هذه»[23]، وفي إجابة الراوي عن هذا السؤال تكون البداية الفعلية للقصة بقوله:«أهدى إليها العام ابن عم لها...مفكرة مطرقة»[24].

وتسلسل الأحداث في القصة يثبت قرب الراوي من الشخصية البطلة، وعلى الرغم من ذلك نجده لا يعرف الحالة التي تعيشها معاذة إلاّ بعد تصريحها بذلك فهو يعلم أقل من الشخصية، معرفة أتت بعد دخول الراوي في حوار مع معاذة لمعرفة حالتها وسبب حزنها«فقلت لها: مالك يا معاذة؟ فقالت:انا امرأة ...ويقومون بحقه»[25]ثم تسترسل معاذة في شرح سبب حزنها وأوضاعها للراوي حتى تصل به إلى السبب الحقيقي لحزنها وهو عدم مقدرتها على الانتفاع بالدم«بقي علينا الانتفاع بالدم...وهمّا لا يزال يعودني»[26]، وبعد معرفة الراوي لحقيقة اكتئاب معاذة يعود ليصف للمستمعين الحالة الجديدة لها؛ إذ انتقلت من حالة الحزن إلى الابتسامة والراحة والفرحة الناتجة عن توصلها لحل لمشكلتها ولا يعرفه إلاّ بعد أن تفصح عنه معاذة «فلم ألبث أن رأيتها قد طلقت وتبسمت... إذ وقع كل شيء موقعه»[27].ثم يعود ليسألها مجددا بعد ستة أشهر عن أضحيتها لمعرفة الحل النهائي الذي توصلت إليه«ثم لقيتها بعد...ولكل شيء إبّان»[28]،

فمعرفة الراوي موازية لمعرفة الشخصية في نهاية القصة، ثم يختتم الراوي القصة بتسجيل موقف الشيخ الراوي في إحدى القصص الأولى«فقبض صاحب الحمار والماء...بأخبار الصالحين»[29].

فالرؤية في قصة معاذة داخلية وظف فيها الراوي ضمير الأنا الدال على حضوره ومشاركته لأحداثها.

أما القصة الثانية فهي قصة"السدري والسمكة" والتي ظهر فيها الراوي وهو الجاحظ الذي يسرد أحداثا لصديقه أبي المؤمل، مجسدا دور الراوي المشارك السارد للقصة من الداخل، ناقلا لم عايشه، وقد تجلى ذلك منذ بداية القصة حين تحدث عن خصال أبي المؤمل وصفاته، وحبه لشرب الخمر على الريق وأكل السمك، ثم انتقل مباشرة للقصة التي انطلقت من شرائه لسمكة شبوط كبيرة قائلا:«...واشترى مرة شبوطة ...ولشدة شهوته بها»[30]، والهدف من ذلك شدّ انتباه المتلقين لما سيحل بهذه السمكة التي هي محور القصة، ثم انتقل إلى سرد بداية التوتر الذي عايشه أبو المؤمل بعد التحاقه والسدري بأبي المؤمل«فحين ظن عند نفسه...هجمت عليه ومعي السدري...وقد ابتلى التنين»[31]، هنا قام الراوي(الجاحظ)بتوظيف ضمير المتكلم(أنا) ما يدل على مشاركته بالقصة، ثم توالت الأحداث في حوار بينه وبين أبي المؤمل الذي صرح بغضبه من السدري وشرهه في أكل السمكة كلما التهم جزءً منها ، وهذا ما يظهر مشاركة الراوي وحضوره«فأقبل عليّا فقال لي: يا أبا عثمان السدري يعجبه السُرَر...يا أبا عثمان السدري يعجبه كل شيء»[32]. فكانت معرفة الراوي موازية لمعرفة الشخصية حتى نهاية القصة، حين بيّن موقف أبي المؤمل وغضبه الشديد، ومعاهدته على عدم المؤاكلة مع أحد ولا أكل السمك حتى لو أهدي له.فالراوي اعتمد على توظيف ضمير الأنا للدلالة على حضوره ومشاركته في أحداث القصة.

- **رؤية من الخلف**: أو السرد الموضوعي كما يسميه الشكلانيون، والذي تجسد في قصة "جبل وأبو مازن"؛ حيث كان الراوي فيها غير مشارك بأحداثها، إلاّ أنه يعتبر راو عليم؛ إذ يعرف كل شيء عن شخصيات القصة، فهو عالم بحالة جبل وما كان يفكر به، ويتجلى ذلك منذ

بداية القصة«كان جبل خرج ليلا...في أوائل المدلجين»[33]، ثم يسترسل الراوي بوصف حالة الخوف التي يعيشها جبل حين قام برصد حالته وهو متوجه لبيت أبي مازن«فدق عليه الباب... فنزل سريعا»[34]، ففي هذا المقطع تبرز الرؤية السردية الخارجية ؛ إذ وصف الراوي دقائق نفسية جبل وما كان يفكر به، وحالة الفرح والطمع في هدية لدى أبي مازن، فهو يعرف دواخل شخصيته وهواجسها، وقام بوصف حالتها وصفا دقيقا في قوله:«فلما فتح الباب، وبصر بجبل، بصر بملك الموت،...لأبيت عندك»[35]، ولعل أكثر جزء من هذه القصة وضوحا لمعرفة الراوي أو السارد أكثر من الشخصية ذاتها باعتباره راو خارجي هو ما كان يخطط له أبو مازن ليتهرب من استضافة جبل والتخلص منه«فتساكر أبو مازن...لا والله ما أعقل أين أنا، والله إن أفهم ما تقول»[36]، فالراوي هنا يعلم أن أبا مازن ليس سكرانا؛ بل يتظاهر بذلك ليتخلص من جبل.

فالرؤية السردية كانت خارجية رغم ظهور بعض الأصوات للشخصيات في النص، موهما القارئ بأن الشخصية هي من تتكلم، إلا أنّها لم تتخلص من سلطة الراوي، ذلك أنه يكون واصفا للأحداث والشخصيات من الخارج ومن الداخل لمعرفته بدواخلها وما يدور في فكرها، وما توضيحه لصورة أبي مازن إلا دليلا على ذلك؛ إذ يصف تظاهرة بالسكر ومنظره الخارجيّ "أرخى عينيه، وفكيه، ولسانه"، فهو هنا مركز على وصف الشخصية خارجيا في حركاتها وأفكارها الموحية بالسكر، لرغبتها في التنصل من الضيف، متحججا بعدم سماعه وفهمه له، متخذا منه عذرا يعتمد عليه كي لا يوصف بالبخل، وهذا ما وصفه الراوي في نهاية القصة«لم أغلق الباب... حتى وقع على هذه الحيلة»[37].

- **اللغة أو السنن:** تحوي قصص البخلاء عديد الظواهر اللغوية المميزة التي تضفي جوانب جمالية عليه، وتجذب القراء والمستمعين، ومما هو موجود في النماذج المدروسة نذكر:

- **التكرار:** حوا كتاب البخلاء ظاهرة التكرار ومن ذلك ما نجده في قصة جبل العمي من خلال تكرار فعل الدق" دققت عليه الباب...دق واثق، ودق مدل، ودق من يخاف...، إنه دق صاحب هدية" وأفاد التكرار في هذا المقام إصرار جبل على فكرته وهو الوصول إلى موضوع

قيمته"المبيت عند أبي مازن"، كما يعبر عن إلحاحه في طلب ذلك، دليل على استعداده للاستمرار في الدق حتى يفتح له الباب، ولعل اختيار لفظ"دق" لهذا الفعل لما تتصف به أصواته من شدة باعتبارها مجهورة إيحاء لحالة التوتر والخوف الشديد التي كان عليها جبل، تكرار ناتج عن إصرار جعل أبو مازن يطمع في هدية من دق الباب. وما جاء من تكرا لجملة"سكران أنا والله سكران" من أبي مازن الذي حاول من خلالها إقناع جبل بسكره كي يتخلص منه.

- **الترادف اللغوي**: امتاز كتاب البخلاء بتوظيفه لهذا اللون اللغوي ومن ذلك الترادف ما جاء في قصة معاذة حين قام بوصف حالة الحزن التي أصابتها بألفاظ مترادفة"كئيبة، حزينة" وفي حالة فرحها"طلقت وتبسمت".

- **الطباق**: امتاز الجاحظ في كتابه المبني على أسلوب السهل الممتنع على توظيف الطباق، ومن ذلك ما جاء في قصة معاذة " القليل، الكثير"، "شتاء ، صيف" في قصة جبل العمي، "رغيبا، زهيدا- رخيصة، غالية" في قصة أبو المؤمل.

- **السجع**: اعتمد الجاحظ كثيرا في كتابه على السجع، لما يضفيه هذا الجرس الموسيقي من جمال على القصص، وما له من دور في شد انتباه المتلقين، ومن ذلك ما نجده في قصة معاذة" أما القرن فالوجه فيه معروف، وهو...كالخطاف، ويسمر...السقف"، وفي قصة السدري والسمكة"حين ظن أنه خلا بها، وتفرد بأطاييبها، و...صمدها".

- **التشبيه والكناية** : لم تخلو قصص البخلاء من توظيف التشبيه لاعتماده على الوصف والتصوير لشخصياته البخيلة، وصفا حسيا ونفسيا، ومن هذه الصور نذكر التشبيه الوارد في قصة معاذة "لم أر في...كمعاذة العنبرية"، "أما القرن...كالخطاف"، كما وظف عبارات كناية عن حالة الحيرة والحزن التي تصيبها إن لم تستفد من دم الأضحية"صار كية في قلبي، وقذى في عيني"، كما نجد التشبيه في قصة جبل العمي في وصف حالة الرعب التي عايشها أبو مازن عند فتح الباب ورؤية جبل"بصر ملك الموت"، أمال في قصة السدري والسمكة فقد وظف الكناية وصفا لحالة الشراهة الكبيرة في أكل الطعام التي كان عليها السدري "يفري الفري ويلتهم

التهاما"، كما وصف حالة الرعب والخوف التي بدت على أبي المؤمل عندما أتى الجاحظ والسدري خوفا منهما على سمكته"رأى الموت الأحمر والطاعون الجارف".

- **الأساليب الإنشائية**: اعتمد الجاحظ على توظيف أساليب الاستفهام والنداء والأمر لما تؤديه من معاني الاستنكار والنهي، هادفا إلى لفت انتباه المتلقين وشد انتباههم ودفعهم للتفكير، ومن ذلك ما نجده في بداية قصة معاذة العنبرية في قول الشيخ"لم أر في وضع الأمور...كمعاذة العبرية" وظهرت استجابة السامعين وشغفهم في معرفة قصتها في سؤالهم"وما شأن معاذة هذه؟" ومن النداء ما نجده في قصة السدري والسمكة؛ حيث تكرر أسلوب النداء في الحوار الذي كان بين أبي المؤمل والجاحظ" يا أبا عثمان، السدري يعجبه السرر،... يا أبا عثمان، السدري يعجبه المتون، ...يا أبا عثمان السدري يعجبه كل شيء"، وكان الهدف منه تنبيه السامعين وربطهم بمراحلها المرتبطة بأكل السدري لكل أجزاء السمكة تباعا.

- **التناص**: تم توظيف التناص في قصص البخلاء باختلاف أنواعه ومن ذلك ما جاء في قصة معاذة التي وظفت المفاهيم الدينية كحجة لرغبتها في الاستفادة من كل الأضحية، ووجوب الاقتصاد وعدم تضييع أي جزء منها قائلة:«وقد علمت أن الله لم يخلق فيها ولا في غيرها شيئا لا منفعة فيه، ....ولست أخاف من تضييع القليل إلا أنه يجر تضييع الكثير، ... بقي الآن الانتفاع بالدم، وقد علمت أن الله – عز وجل- لم يحرم الدم المسفوح إلا أكله وشربه»[38]، ويتناص كلامها هذا مع القرآن الكريم في قوله تعالى:{حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به}[39]، ومع قوله عز وجل:{أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثا}[40]، معززة بذلك موقفها من الاستفادة من كل أجزاء الأضحية حتى الدم .

كما يتجلى التناص في قصة جبل حين قام أبو مازن بالتحجج بالسكر لعدم استضافته، كونه مذهب للعقل يفقد الإنسان التميز والسيطرة على أفعاله؛ حيث تشير عديد الأحاديث والسور القرآنية لذلك.

ويمكن القول أن القراءة السيميوزية المقدمة تفتح الباب أما تعدد التأويلات للنماذج المختارة ما يوجب علينا الانتقال إلى قراءة ثانية للخروج بدلالات محددة هي القراءة النقدية السيميائية.

ب- **التأويل النقدي السيميائي(قراءة نقدية سيميائية)**: تهدف هذه القراءة إلى الإجابة على مجموعة من الأسئلة المفتوحة التي خلقتها القراءة السيميوزية، من خلال انتقاء محتويات سيميائية نصية عبر تحيين بنيات خطابية وسردية، وعامليّه وإيديولوجية، انطلاقا من الإجابة على مجموعة من الأسئلة هي: ماذا حدث؟ ويتم على مستوى البنيات الخطابية، والتي تحيلنا لسؤال آخر هو كيف حدث؟ من خلال البنيات السردية، هذان السؤالان اللذان لا تتطلب الإجابة عنهما تجاوز بنية النص، ومن ثم الانتقال إلى البنيات العاملية التي تتطلب الغوص في عمق النص وتحويلها إلى تقابلات دلالية تعبر عوالم النص المختلفة وأهوائها- شخصيات، أمكنة وغيرها- [41].

ب.1- **البنيات الخطابية والسردية**: سنحاول في هذا العنصر تحليل النماذج المختارة من خلال وضع متتاليات لأحداث القصة، انطلاقا من تسلسل أحداثها.

قصة معاذة العنبرية: حوت قصة معاذة ثلاث متتاليات سردية هي:

- **حالة بدئية**: مثلها الافتتاحية التي قدمها الشيخ، هدفه منها لفت انتباه السامعين والقراء وتشويقهم للاطلاع على قصتها قائلا"لم أر ...كمعاذة العنبرية"، ونتج عنه اهتمام الحاضرين الذي كان على شكل سؤال عن معاذة "وما شأن معاذة هذه؟"، تبعه حديث عن حصولها على أضحية من ابن عمها، والتي تستوجب الفرح والسرور بخلاف ما ظهر عليها من حزن وكآبة، ما دفع الشيخ لسؤالها عن حالتها تلك "مالك يا معاذة" ومكنت إجابتها من معرفة حالتها الاجتماعية باعتبارها أرملة وفقيرة قليلة التجربة بتدبير لحم الأضاحي التي كانت مهمة زوجها قبل وفاته، ما دفعها للخوف من عدم المقدرة على تدبيرها، خوف يحيلنا على المتتالية الثانية.

- **حالة وسيطة**: مرحلة تعكس خالة التوتر العاطفي من حزن وكآبة، عاشته معاذة نتيجة خوفها من عدم مقدرتها على تدبير الأضحية لقلة خبرتها، انفعالات رافقها البحث عن حلول

لمشكلتها، وتجسدت في المقطع الآتي:"أهدى إليها ابن عم لها أضحية ...ولست أخاف من تضييع القليل إلا أنه يجر الكثير".

- **حالة ختامية**: مرحلة تمثل انفراج الأزمة نتيجة إيجاد معاذة حلا لكل أجزاء الأضحية والانتفاع بها كلها حتى الدم"فلم ألبث أ رأيتها...وقد وقع كل شيء موضعه"؛ والذي تجاوز الحل الوقتي لتمكنها من مقدرة الاحتفاظ بها لوقت طويل حين سألها الشيخ بعد ستة أشهر"كيف كان قديد تلك الشاة؟" فكانت إجابتها"بأبي أنت! لم يجئ وقت القديد بعد فلنا في الشحم و...ولكل شيء إبان" إجابة صنعت الدهشة وردة فعل لدى أحد المتلقين لفرط صلاحها.

ويمكن أن نلخص حالة الاضطراب التي عاشتها معاذة في مرحلتين أولى مرحلة رغبة في الحصول على الشيء (الجمع) وتتميز بالحركة والسعي للاتصال بموضوع القيم (الأضحية)، ثم الانتقال إلى مرحلة اضطراب أكبر من خلال الاحتجاز والمنع المتميز بالسكون والانفصال بهدف الحفاظ على موضوع القيمة(الأضحية)؛ فالذات(معاذة) حاولت الحصول على موضوعها(الأضحية) والحفاظ عليها وحسن تدبيرها، وسنوضح ذلك في الشكل الآتي:

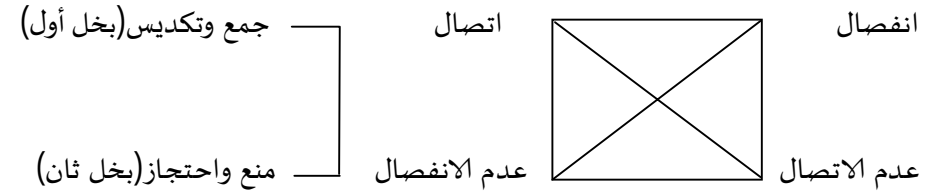

قصة جبل وأبو مازن: والتي تحوي بدورها ثلاث متتاليات سردية هي:

- **حالة بدئية أو افتتاحية**: شهدت هذه القصة افتتاحها بوصف لشخصية أبي مازن الذي اعتبر بخيل مانع حسب تصريح الجاحظ وصاحب حيلة لتحقيق ذلك"لم أر من يجعل الأسى حجة في المنع إلا هو، وإلا ما كان من أبي مازن إلى جبل العمي"، هدفه من ذلك تشويق المتلقين للتعرف على الحيل التي دبرها لبلوغ غايته، ثم انتقل لوصف شخصية جبل وما اضطره للتفكير في المبيت عند أبي مازن، وما في نفسه من حجج ليصل إلى ذلك، تفكير نتج عن

اضطراب عاطفي ألا وهو خوفه من سراق الليل وقطاع الطريق"وكان جبل خرج ليلا...في أوائل المدلجين".

- **حالة وسيطة**: قام فيها الراوي بسرد الأحداث التي انجرت على اضطراب جبل وطمعه في المبيت عند أبي مازن، و طمع أبو مازن بالحصول على هدية من الداق ثم خوفه من أن ينفق علي جبل إذا استضافه، ما يدفعه للتحايل وادعاء السكر للتخلص منه، عاطفة تأخذ في التصاعد عبر توالي أحداث القصة "فدق عليه الباب... فلما فتح الباب وبصر بجبل، بصر بملك الموت...سكران، والله سكران، لا والله ما أعقل أين أنا، والله إن أفهم ما تقول".

- **حالة نهائية**: وتجسد حالة الانفراج التي بلغ فيها أبو مازن موضوع قيمته من خلال التخلص من الضيف لتعود له حالة الاستقرار من جديد بخلاف جبل الذي لم يحصل على موضوع قيمته وهو المبيت عند أبي مازن"ثم أغلق في وجهه، ودخل لا يشك أن عذره قد وضح، وأنّه قد ألطف النظر حتى وقع على هذه الحيلة".

ففي هذه القصة إذا حاول كل من جبل وأبو مازن الحصول على موضوع قيمته وخلق لنفسه حججا وحيلا لتحقيقها؛ حيث كان هدف جبل(الذات)المبيت عند أبي مازن(الموضوع)طامعا في ذلك خوفا من سراق الليل، فيما تحاول الذات الثاني(أبو مازن) التخلص من جبل وعدم استضافته(موضوع القيمة) خوفا من الإنفاق المترتب عن ذلك مع معدم رغبته في إظهار بخله، وبالتالي تجمع هذه القصة بين نوعين من البخل: بخيل طامع يمثله جبل العمي، وبخيل مانع يجسده أبو مازن.

قصة السدري والسمكة: تحوي هذه القصة ثلاث متتاليات سردية أيضا هي:

- **حالة افتتاحية**: قام فيها الراوي بوصف حالة أبي المؤمل المحب للسمك وشرائه لشبوطة واستعداده لأكلها"اشترى مرة شبوطة...وحصر عن ذراعيه وصمد صمدها" ومثلت كل الأوصاف للسمكة وأبي المؤمل حالة الاستقرار حين حصل أبو المؤمل على موضوع قيمته الراغب به وهو السمكة.

- **حالة وسيطة**:تمثل مرحلة الاضطراب والتوتر التي يعيشها أبو المؤمل عندما يلتحق به الجاحظ والسدري وخوفه على سمكته من شراهة السدري، وتتصاعد حالة التوتر التي يعيشها أبو المؤمل كلما قضم السدري جزءا من سمكته حتى ينهيها، وحالة العضب والاحتقان التي يعيشها نتيجة شراهة وجشع السدري الذي اعتدى عليه وأكل كل سمكته"هجمت عليه ومعي السدري...فتولد الغيظ في جوفه...ثم ركبته الحمى".

- **حالة نهائية**: في نهاية القصة يخرج أبو المؤمل عن صمته ويعلن عدم المؤاكلة مستقبلا لا مع رغيب ولا زهيد، بل ويتعدى ذلك لعدم أكل السمك حتى ولو أهدي له، بخلاف السدري الذي أكل كل السمكة ولم يترك شيء لصاحبها مخالفة كل قواعد وآداب الأكل المتعارف عليها.

ومن خلال توالي أحداث القصة يمكن القول أنها تحوي ذاتين: أولى يمثلها أبو المؤمل الراغب في الحصول على موضوع قيمته(السمكة)، والتي فقدها بعد شرائها وبالتالي لم يحصل على موضوعه،وذات ثانية يجسدها السدري الذي حصل على موضوع قيمته(أكل سمكة أبي المؤمل كلها) شخصية جسدت حالة البخيل الطامع الذي يعتدي على أشياء غيره وأخذها، نوع ظهر جليا لديه وفي أقصى درجاته.

ب.2- البنيات العاملية والايديولوجية: في هذه الجزئية سنحاول وضع المخططات التي توضح البنيات العاملية الخاصة بكل قصة من القصص المختارة والتي تجسد لا محالة الأنواع الثلاثة للبخل عند الجاحظ في كتابه.

- **قصة معاذة العنبرية**:

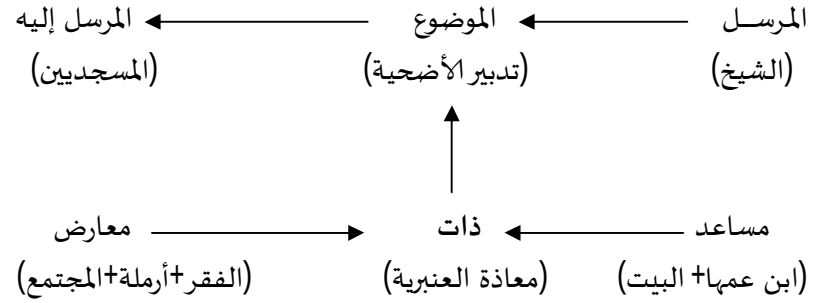

فقصة معاذة إذا تتلخص في سعيها للاقتصاد في تدبير الأضحية المهداة لها من ابن عمها ، ولجوؤها للبيت لحل ذلك، بيت يعكس حالة الفقر والعوز الشديد الذي تعيشه، ما يدفعها للمبالغة في الاقتصاد حد البخل، بخل ناتج عن الخوف من فقدان موضوع قيمتها صنفه المسجديون كنوع من حسن التدبير متخذين منه مذهبا لهم، كما حوت هذه القصة تعزيزا لسلوك التصدق على ذوي القربى، و اليتامى والفقراء المتأصلة في الفرد العربي المدعمة من الدين الإسلامي الحنيف التي قلت في عصره، وقد حوت هذه القصة عديد الثنائيات منها(الكرم-البخل) ثنائية تجسدت في كرم ابن العم والبخل الناتج عن الإفراط في الاقتصاد عند معاذة، و(الأعلى -الأسفل) قاعدة البيت الذي يجسد الفناء والاندثار، وسقفه الذي مثل الأمن والاستقرار، وثنائية(الحزن-الفرح)الناتجتين عن حزنها الناتج عن خوفها من فقد موضوعها، وفرحها عند وصولها لحل.

- **قصة جبل العمي**: تحوي هذه القصة نموذجين يلخصان أحداثها هما:

- **النموذج الأول:**

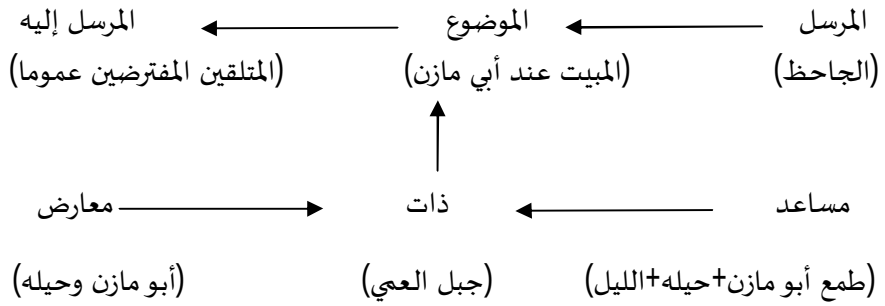

- **النموذج الثاني:**

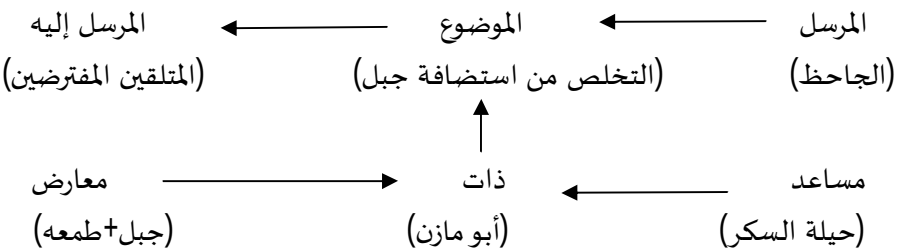

فهذه القصة تجسد الذات البخيلة المانعة المصرح بها من قبل الجاحظ في بداية القصة(أبومازن) والذات البخيلة الطامعة(جبل)، وتحيلنا هذه الذوات على تدهور قيمة اجتماعية في هذا العصر وهي إكرام الضيف، كما حوت في طياته أساليب وحيل يلجأ إليها البخيل لبلوغ مراده رغم ادعائه العكس؛ حيث حوت هذه القصة ثنائية ضدية تمثلت في(الكرم والبخل) مجسدة في إدعاء أبي مازن للكرم رغم تبنيه لسلوك البخل وتحايله للتخلص من ضيفه مخافة الإنفاق.

- **قصة السدري والسمكة:** قصة تحوي أيضا نموذجين لذاتين مختلفتين هما:

- **النموذج الأول:**

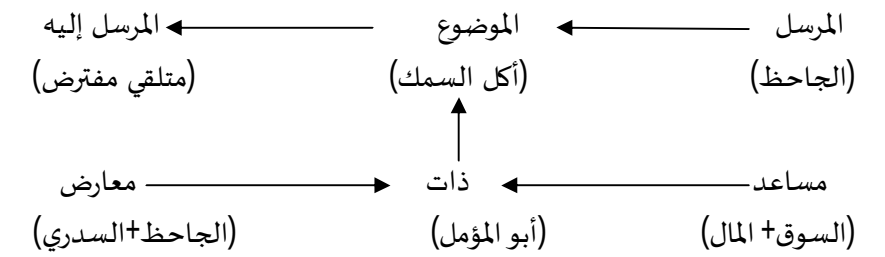

- **النموذج الثاني:**

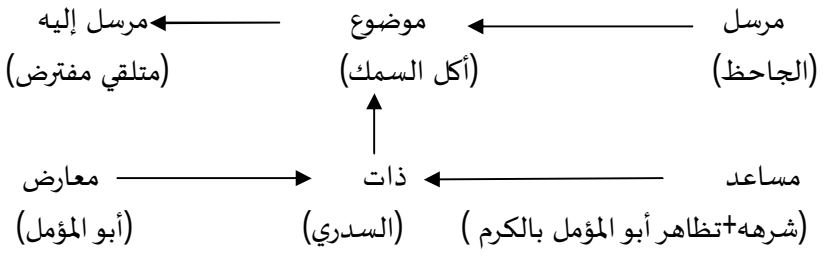

قصة جسدت لنا صورة البخيل الطامع الشره الذي يعتدي على ممتلكات غيره، ذات أحالتنا على قيمة أخلاقية وهي احترام آداب الأكل والتي خالفها السدري بشراهته وطمعه في نصيب غيره الذي يعد نوعا من أنواع البخل.

خاتمة:

وفي الأخير يمكن أن نستخلص مجموعة من النتائج نوردها في النقاط الآتية:

- الجاحظ لم ينظر للبخل كظاهرة اجتماعية فحسب؛ بل اتخذ منه وسيلة ليحارب أفكارا وينتقد ظواهر داعيا بالتلميح تارة، وبالتصريح تارة أخرى إلى ضرورة إعمال العقل في حياة الإنسان، وقد جسد ذلك في حيل البخلاء وفطنتهم، ولا عجب فالرجل معتزلي المذهب.

- الجاحظ بدا في صورة عالم النفس شعر بما يعانيه المتلقي في عصره من ضغط، وعرف بالفطرة أنه يحتاج إلى ما يروح به عن نفسه انطلاقا من مقولة: ساعة بساعة إنّ القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد.

- أسماء الشخصيات الواردة في قصص الجاحظ الواقعية منها أو المتخيلة، ومن خلال القراءة التأويلية يمكننا أن نلاحظ أنّها تحمل في الغالب دلالات تناسب الغرض من الإتيان بها، كما أنّ التنوع في أصولها بين أهل البصرة وخرسان وغيرها فرسا وعربا باختلاف مقاماتهم (العامة والنبلاء والمثقفين)يدحض الفكرة القائلة أنّ الكتاب ألف فقط للرد على الشعوبيين وإرضاء البلاط الحاكم .

- لم يوظف الجاحظ الأمكنة بشكل سطحي واعتباطي؛ بل جعلها محورا ترتبط به أحداث القصة كما هو عليه الحال في قصة معاذة العنبرية مثلا، مانحا إياه دلالات عميقة تدعم طرحه

وموقفه ومثاله قصص أهل البصرة من المسجديين؛ حيث وظف المسجد الذي يحوي دلالات دينية ليعزز موقف أصحابها من البخل؛ إذ اعتبروه مذهبا في عدم الإسراف وحسن التدبير.

- تنوعت اللغة الموظفة في كتاب البخلاء بين العامية والفصيحة مراعيا في ذلك حال متلقيه، ومكانة ودرجة شخصيات قصصه.

- تميز كتاب البخلاء ببنائه القائم على الثنائيات الضدية:كرم/بخل، فقر/غنى، جد/هزل...مجسدا إياها في ثناياه بدءا بالمقدمة، محاولا التأثير في المتلقين وإقناعهم بفلسفته في الحياة: التوازن والوسطية في كل شيء فلا إفراط ولا تفريط.

الهوامش:

[1] ينظر: وديعة طه نجم، الجاحظ والحاضرة العباسية، دار الجاحظ للنشر، بغداد،(د.ط)، 1982، ص:149.

[2] ينظر: سيف محمد سعيد المحروقي، نماذج إنسانية في السرد العربي القديم، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي- الإمارات العربية المتحدة، ط:1، 2010، ص:22.

[3] ينظر: أبو الحسن أحمد ابن فارس بن زكريا الرازي، معجم مقاييس اللغة، تح:إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (د.ط)، 2011، ج:1، ص:110. وينظر: PAUL Robert, Le petit Robert Dictionnaire de la Langue Française, rédaction A. Rey et J.Rey, d.Ebove. Paris, 1990, P: 141

[4] أبو عثمان الجاحظ، البخلاء، تح: طه الحاجري،دار المعارف، القاهرة، ط:5، 1990، ص:5.

[5] نفسه، ص:06.

[6] نفسه، ص:07.

[7] نفسه، ص:122.

[8] نفسه، ص:7.

[9] نفسه، ص:3.

[10] ينظر: محمد بوعزة، تحليل الخطاب السردي تقنيات ومفاهيم، منشورات الاختلاف- الدار العربية للعلوم، الجزائر- لبنان، ط:1، 2010، ص:39.

[11] إسماعيل بن حماد الجوهري، صحاح تاج اللغة صحاح العربية، تح:أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط:3، 1004هـ-1984م، ج:2، ص:566.

[12] الموزباني، معجم الشعراء، تع:ف.كرنكو، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:2، 1982، ص:375.

[13] ينظر: الجاحظ، مصدر سابق، ص:94- 100.

[14] سيزا قاسم، بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984، ص:74.
[15] الجاحظ،مصدر سابق، ص:33.
[16] نفسه، ص:29.
[17] نفسه، ص:33.
[18] نفسه، ص:33.
[19] نفسه، ص:39.
[20] ينظر:حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت، ط:1، 1991، ص:45.
[21] الجاحظ،مصدر سابق، ص:29.
[22] نفسه، ص:33.
[23] نفسه، ص:33.
[24] نفسه، ص:33.
[25] نفسه، ص:33.
[26] نفسه، ص:33- 34.
[27] نفسه، ص:34.
[28] نفسه، ص:34.
[29] نفسه، ص:34.
[30] نفسه، ص:100.
[31] نفسه، ص:100.
[32] نفسه، ص:101.
[33] نفسه، ص:39.
[34] نفسه، ص:39.
[35] نفسه، ص:39.
[36] نفسه، ص:39.
[37] نفسه، ص:39.
[38] نفسه،ص:34.
[39] سورة المائدة، الآية:03.
[40] سورة المؤمنون، الآية:115.
[41] ينظر:سعيد عمري، الرواية من منظور نظرية التلقي مع نموذج تحليلي حول رواية أولاد حارتنا لنجيب محفوظ، منشورات مشروع البحث النقدي ونظرية الترجمة، كلية ظهر المهراز، فاس، ط:ض، 2009، ص:39-42.

قائمة المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم .

01- إسماعيل بن حماد الجوهري، صحاح تاج اللغة صحاح العربية، تح:أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط:3، 1004هـ-1984م، ج:2.

02- حسن أحمد ابن فارس بن زكريا الرازي، معجم مقاييس اللغة، تح:إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (د.ط)، 2011، ج:1.

03- حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت، ط:1، 1991.

04- سعيد عمري، الرواية من منظور نظرية التلقي مع نموذج تحليلي حول رواية أولاد حارتنا لنجيب محفوظ، منشورات مشروع البحث النقدي ونظرية الترجمة، كلية ظهر المهراز، فاس، ط:ض، 2009.

05- سيزا قاسم، بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984.

06- سيف محمد سعيد المحروقي، نماذج إنسانية في السرد العربي القديم، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي- الإمارات العربية المتحدة، ط:1، 2010.

07- أبو عثمان الجاحظ، البخلاء، تح: طه الحاجري،دار المعارف، القاهرة، ط:5،1990.

08- محمد بوعزة، تحليل الخطاب السردي تقنيات ومفاهيم، منشورات الاختلاف- الدار العربية للعلوم، الجزائر- لبنان، ط:1، 2010.

09- موزباني، معجم الشعراء، تع:ف.كرنكو، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:2، 1982.

10- وديعة طه نجم، الجاحظ والحاضرة العباسية، دار الجاحظ للنشر، بغداد،(د.ط)، 1982.

11- PAUL Robert, Le petit Robert Dictionnaire de la Langue Française, rédaction A. Rey et J.Rey, d.Ebove. Paris, 1990.